العلم الذي معرفته فضلة، وهو ما يتعلق بالفتن والملاحم وشرائط الساعة، ويجوز كتمان ما يتعلق بذلك إذا أدى إلى مفاسد، وهذا يتضح من قول أبي هريرة: "لو أخبرتكم أنكم تقتلون إمامكم، وتقتتلون فيما بينكم بالسيوف لما صدقتموني"، والقاعدة الشرعية تقول: دفع الضرر مُقدَّم على جلب المنفعة، وقد كان أبو هريرة ﷺ في ذلك مثل سائر الصحابة لا يُحدِّث الناس إلا بما ينفعهم.

- ليس صحيحًا أن أبا هريرة ﷺ كان يكتم العلم، بل المعروف عنه أنه كان أكثر الصحابة نشرًا لسنة النبي ﷺ، فقد حدَّث في المدينة ومكة كما حدَّث في دمشق، كما كان يفد إليه طلاب العلم من كل مكان، وقد حدَّث عنه ﷺ خَلَفٌ كثير من الصحابة والتابعين، فقيل: بلغ عدد أصحابه ثمانمائة كلهم روى عنه الحديث، فكيف يُتَّهم مثله بكتمان العلم؟!

الشبهة الثالثة عشرة

الزعم أن كثرة مرويات أبي هريرة تطعن في عدالته(*)

مضمون الشبهة:

يطعن بعض أعداء السنة في مرويات الصحابي الجليل أبي هريرة ﷺ بسبب كثرتها، والتي وصلت إلى (٥٣٧٤) خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثًا، وهذا أضعاف ما رواه الخلفاء الأربعة ﷺ على الرغم من أن صحبة أبي هريرة ﷺ لم تتعد سنة وأربعة أشهر، كما أن هذا العدد أضعاف ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما الذي شهد له أبو هريرة نفسه بأنه أكثر حديثًا منه عندما قال: "ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثًا منِّي إلا عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب"؛ ولذلك أنكر عليه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما إكثاره هذا قائلًا: "لقد أكثر علينا أبو هريرة". رامين من وراء ذلك إلى الطعن في مرويّات أبي هريرة التي تمثل جزءًا كبيرًا من السنة النبوية.

وجوه إبطال الشبهة:

١) من المعلوم أن صحبة أبي هريرة ﷺ تعدَّت ثلاث سنوات، فقد قدم على النبي ﷺ عام خيبر، أي في جمادى الأولى سنة سبعٍ، ولازمه حتى وفاته، وبين خيبر ووفاة النبي ﷺ أربعة أعوام إلا شهرين، وهذه المدة ليست قليلة لحفظ هذه الأحاديث، لا سيما لمن لازم النبي ﷺ وأوقف حياته على تلقي الحديث وحفظه فقط، خصوصًا وقد دعا له النبي ﷺ بعدم النسيان.

٢) إن من الخطأ الفاحش أن نقارن بين الخلفاء الراشدين وأبي هريرة في كثرة المرويات عن النبي ﷺ؛ وذلك لانشغالهم بشئون السياسة وأمور الدولة، بينما تفرَّغ أبو هريرة ﷺ للحديث، وابتعد عن الفتن وغيرها من المشاغل.

٣) لا تصح مقارنة عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بأبي هريرة في رواية الحديث؛ لأن عبد الله سكن مصر والشام بعيدًا عن طُلاب الحديث فقلت مروياته،

(*) الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث، محمد حمزة، مرجع سابق. الرد على القرآنيين، شافع توفيق محمود، مرجع سابق. السنة المطهرة والتحديات، د. نور الدين عتر، مرجع سابق.

وشهادة أبي هريرة له كانت بأنه أكثر تحملًا لا أداءً، وكذلك لم يقصد ابن عمر رضي الله عنهما اتهام أبي هريرة بمقولته: "لقد أكثر علينا أبو هريرة"، لأنه يعني أن روايته زادت على روايتهم.

التفصيل:

أولا. ملازمة أبي هريرة للنبي ﷺ كافية لحفظ هذه الأحاديث:

من المعلوم أن أبا هريرة ﷺ قَدِم مهاجرًا من اليمن إلى المدينة ليالي فتح خيبر سنة سبعٍ من الهجرة، وكان قد أسلم على يد الطفيل بن عمرو في اليمن، وشهد هذه الغزوة مع رسول الله ﷺ ولازمه إلى آخر حياته يخدمه، ويتلقى العلم عنه، ويتحدث هو عن ذلك لما سأله مروان بن الحكم قائلًا له: "إن الناس قد قالوا إنك أكثرت على رسول الله ﷺ الحديث، وإنما قدمت قبل وفاة النبي ﷺ بيسير، فقال أبو هريرة: نعم، قدمت ورسول الله ﷺ بخيبر سنة سبعٍ، وأنا ـ يومئذٍ ـ قد زدت على الثلاثين سنةً سنوات، وأقمت معه حتى توفي، أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه، وأنا والله ـ يومئذٍ ـ مقلٌّ (فقير)، وأُصلِّي خلفه، وأحج وأغزو معه، فكنت ـ والله ـ أعلم الناس بحديثه، قد ـ والله ـ سبقني قوم بصحبته والهجرة إليه من قريش والأنصار، وكانوا يعرفون لزومي له؛ فيسألوني عن حديثه، منهم: عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فلا ـ والله ـ ما يخفى عليَّ كلُّ حدث كان بالمدينة، وكل من أحب الله ورسوله ﷺ، وكل من كانت له عند رسول الله ﷺ منزلة، وكل صاحب لرسول الله ﷺ، فكان أبو بكر صاحبه في الغار، وغيره قد أخرجه رسول الله ﷺ من المدينة أن يساكنه، فليسألني أبو عبد الملك عن هذا وأشباهه، فإنه يجد عندي منه علمًا كثيرًا جَمًّا... فو الله ما زال مروان يقصر عن أبي هريرة، ويتقيه ـ بعد ذلك ـ ويخافه ويخاف جوابه"[1].

وفي هذا رد صريح على من ادَّعوا أن صحبة أبي هريرة للنبي ﷺ لم تتعد السنة وتسعة أشهر؛ لأن أبا هريرة أسلم عام خيبر، وخيبر كانت في جمادى الأولى سنة سبع، وتوفي النبي ﷺ في ربيع الأول سنة ١١هـ، وبين خيبر ووفاة النبي ﷺ أربع سنوات إلا شهرين تقريبًا[2].

ولكثرة مرويات أبي هريرة ﷺ عدة أسباب هي:

١. شدة ملازمته النبي ﷺ ومواظبته على حضور مجالسه؛ فقد روى الشيخان وغيرهما أن أبا هريرة قال: "إنكم تزعمون أن أبا هريرة يُكثر الحديث على رسول الله ﷺ، والله الموعد، إني كنتُ امرأً مسكينًا، ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، فشهدت من رسول الله ﷺ ذات يوم وقال: مَنْ يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه فلم ينس شيئًا سمعه منِّي، فبسطت بُردة كانت عليَّ، فوالذي بعثه بالحق ما نسيت شيئًا سمعته منه"[3].

٢. رغبته الشديدة في تحصيل العلم؛ حتى نالته

---

١. تاريخ دمشق، ابن عساكر، مرجع سابق، (٦٧/ ٣٥٥) بتصرف.

٢. السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام "مناقشتها والرد عليها"، د. عماد السيد الشربيني، دار اليقين، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، (٢/ ١٠٥، ١٠٦).

٣. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الحجة على من قال: إن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرة،(١٣/ ٣٣٣)، رقم (٧٣٥٤).

دعوة النبي ﷺ ألا ينسى شيئًا من العلم، فبزَّ أقرانه في كثرة الحديث عن النبي ﷺ مع قصر صحبته قياسًا عليهم، فقد روى البخاري في باب الحرص على الحديث عن أبي هريرة أنه قال: "يا رسول الله مَنْ أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أَوَّلَ منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه"[1].

٣. أدرك أبو هريرة كبار الصحابة وأخذ عنهم شيئًا كثيرًا من الحديث، فتكامل علمه به واتسع أفقه فيه[2].

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن "ما رواه ـ أبو هريرة ـ لم يكن جميعه عن النبي ﷺ بل روى عن الصحابة ﷺ، ورواية بعض الصحابة عن بعض مشهورة مقبولة لا مأخذ عليها "[3].

٤. قوة ذاكرته وحفظه وحُسن ضبطه، خاصة بعد حادثة بسط الثوب، وتبشير الرسول له بالحفظ وعدم النسيان ـ كما سبق ـ فكان حافظًا متقنًا ضابطًا لما يرويه.

ويدل على ذلك قصة امتحان مروان له فيما رواه الحاكم عن أبي الزُّعَيْزِعَة كاتب مروان بن الحكم: "أن مروان بن الحكم دعا أبا هريرة فأقعدني خلف السرير، وجعل يسأله وجعلت أكتب، حتى إذا كان عند رأس الحول، دعا به فأقعده وراء الحجاب، فجعل يسأله عن ذلك، فما زاد ولا نقص، ولا قدم ولا أخر"[4]، وهذه القصة "تدل على قوة حفظه وإتقانه، كما شهد له بذلك الصحابة والتابعون فمن بعدهم من أئمة الحديث إلى يومنا هذا"[5].

٥. امتداد عمره ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ حيث عاش بعده نحو سبعة وأربعين عامًا ينشر الحديث ويبثه بين الناس بعيدًا عن المناصب والمشاغل والفتن.

ومن هذه الأمور مجتمعة كان أبو هريرة أحفظ الصحابة للحديث، متفوقًا عليهم في باب التحمل والرواية معًا، وكان كل ما رواه أبو هريرة مجتمعًا يثبت متفرقًا لدى جميع الصحابة أو كثير منهم، لهذا كانوا يرجعون إليه، ويعتمدون في الرواية عليه، حتى إن ابن عمر كان يترحم عليه في جنازته ويقول: "كان يحفظ على المسلمين حديث النبي ﷺ"[6]، قال البخاري: "روى عن أبي هريرة نحوٌ من ثمانمائة رجل من أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم"[7].

ومعلوم لدى علماء الحديث "أن أبا هريرة روى خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثًا (٥٣٧٤)، اتفق الشيخان منها على ثلاثمائة وخمسة وعشرين (٣٢٥)، وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين (٩٣)،

---

١. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: العلم، باب: الحرص على الحديث، (١/ ٢٣٣)، رقم (٩٩).

٢. الحديث والمحدثون، د. محمد محمد أبو زهو، مرجع سابق، ص١٣٣، ١٣٤ بتصرف.

٣. السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب، مرجع سابق، ص٤٥٠.

٤. أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: معرفة الصحابة، باب: ذكر أبي هريرة، (٣/ ٥٨٣)، رقم (٦١٦٤).

٥. السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام "مناقشتها والرد عليها"، عماد السيد الشربيني، مرجع سابق، (٢/ ١١٠).

٦. سير أعلام النبلاء، الذهبي، مرجع سابق، ص١٣٤.

٧. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، مرجع سابق، (٥/ ٣٢١).

ومسلم بمائة وتسعة وثمانين (١٨٩)"[١].

ومن ثم، نتساءل ما وجه الغرابة في كثرة مرويات أبي هريرة ﷺ مع حداثة صحبته بالنسبة لغيره، طالما أن المدة التي صحب النبي ﷺ فيها ليست بالزمن القصير في عمر الصحبة؟ وليس ذلك ببدع لا في العقل ولا في العادة، فكم من شخص قد يجمع في الزمن القليل مالا يجمعه غيره في أضعافه، والذكاء والإقبال على العلم والتفرغ من الشواغل الدنيوية ـ كل ذلك يساعد على الإكثار مع الجمع والتحصيل.

وإنا "لنجد في عصورنا المتأخرة بعض التلاميذ والمريدين الذين لازموا أساتذتهم وشيوخهم مدة وجيزة، يقيدون عنهم الكتب والمجلدات ويحفظون عن ظهر قلب من كلامهم ما يربو على ما حفظه الصحابي أبو هريرة عن رسول الله ﷺ، وذلك على الفرق الذي بين عصرنا وعصر النبوة، وبين أبي هريرة ﷺ وهؤلاء التلاميذ من جهة التفرغ والاستعداد وتكاليف الحياة، وكذلك التقوى والورع وغير ذلك من متطلبات حصول العلم.

ولا يغيب عنا أن هذه الخمسة آلاف والثلاثمائة والأربعة والسبعين حديثًا الكثير منها لا يبلغ السطرين أو الثلاثة، ولو جمعت كلها لما زادت عن جزء، فأي غرابة في هذا"[٢]؟

إنه من الغريب حقًّا أن يَعْجَب هؤلاء من كثرة حديث أبي هريرة، فهل يعجبون من قوة ذاكرة أبي هريرة أن تجمع (٥٣٧٤) حديثًا؟ أم يعجبون أن يحمل هذه الكثرة عن الرسول ﷺ خلال ثلاث سنوات؟

إذا كانوا "يعجبون من قوة حافظة أبي هريرة، فليس هذا مجالًا للدهشة والطعن؛ لأن كثيرًا من العرب قد حفظوا أضعاف أضعاف ما حفظه أبو هريرة، فكثير من الصحابة حفظوا القرآن الكريم والحديث الشريف والأشعار، فماذا يقولون في هؤلاء؟ وماذا يقولون في حفظ أبي بكر أنساب العرب؟ وعائشة رضي الله عنها شعرهم؟ وماذا يقولون في حفظ حَبر الأمة عبد الله بن عباس؟ وحفظ الإمام الزُّهري والشعبي وقتادة؟ فحفظ أبي هريرة إذن ليس بدعًا وليس غريبًا.

وإذا كانوا يعجبون من تحمل أبي هريرة هذه الأحاديث الكثيرة عن الرسول ﷺ خلال ثلاث سنوات، فقد غاب عن ذهنهم أن أبا هريرة صحب الرسول ﷺ في سنوات ذات شأن عظيم ـ هذا فضلًا عما ذكرناه من أسباب قوة حفظه ـ جرت فيها أحداث اجتماعية وسياسية وتشريعية هامة، وفي الواقع أن الرسول قد تفرغ في تلك السنوات للدعوة والتوجيه بعد أن هادنته قريش، ففي السنة السابعة وما بعدها انتشرت رسله في الآفاق، ووفدت إليه القبائل من جميع أطراف جزيرة العرب، وأبو هريرة في هذا كله يرافق الرسول ﷺ ويرى بعينيه، ويسمع بأذنيه، ويعي بقلبه"[٣].

ومن ثم، فإنه لا غرابة أن يحفظ أبو هريرة هذه الأحاديث في مدة تزيد على ثلاث سنوات؛ لتوفر كل متطلبات الحفظ لديه، وهذه المدة ليست سنة وأربعة

١. الحديث والمحدثون، د. محمد محمد أبو زهو، مرجع سابق، ص١٣٤.

٢. دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، د. محمد محمد أبو شهبة، مرجع سابق، ص١٨١، ١٨٢.

٣. السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج، مرجع سابق، ص٤٤٩، ٤٥٠.

أشهر كما زعموا، وإنما هي أكثر من ثلاث سنوات®.

ثانيًا. حيثيات المفارقة بين مرويات أبي هريرة ﷺ والخلفاء الراشدين:

لا وجه للمقارنة بين الخلفاء الراشدين وأبي هريرة في مجال الحفظ وكثرة الرواية لأسباب عدة، أهمها:

١. أن هؤلاء الخلفاء الأربعة اهتموا بشئون الدولة، وسياسة الحكم، فأنفذوا العلماء والقراء والقضاة إلى البلدان، فأدوا الأمانة التي حملوها، كما أدى هؤلاء الأمانة في توجيه شئون الدولة، فكان ذلك الذي شغلهم عن رواية الحديث مما أدى إلى قلة حديثهم، فكما لا نلوم خالد بن الوليد مثلًا على قلة حديثه عن النبي ﷺ لانشغاله بالفتوحات لا نلوم كذلك أبا هريرة على كثرة حديثه لانشغاله بالعلم، وهل لأحد أن يلوم عثمان بن عفان أو ابن عباس ﷺ؛ لأنهما لم يحملا لواء الفتوحات شرقًا وغربًا؛ لأن كل امرئ ميسر لما خلق له.

٢. إن في انصرافه ﷺ إلى العلم والتعليم، واعتزاله الفتن والسياسة، واحتياج الناس إليه لامتداد عمره، ما يجعل الموازنة بينه وبين غيره من الصحابة أو الخلفاء الراشدين غير صحيحة، بل هي خطأ كبير[1].

٣. تقليل الخلفاء الراشدين من الرواية؛ خشية أن يتخذها المنافقون مطية لأغراضهم الخبيثة؛ فقد نظر الخلفاء الراشدون، وتابعهم سائر الصحابة إلى السنة فألقوها كنوزًا ثمينة في صدور الذين أُوتوا العلم، فلم يشاءوا أن يعرضوها في سوق الرواية؛ لئلا يتخذ المنافقون من شيوع الحديث عنه ﷺ ذريعة للتزيد فيه وسلَّمًا لتزييف الحديث على النبي، ولئلا تزل بالمكثرين أقدامهم فيسقطوا في هوة الخطأ والنسيان، فيكذبوا على رسول الله من حيث لا يشعرون، كما كرهوا أن يشتغل الناس برواية الحديث، وينصرفوا عن تلاوة القرآن ولمَّا يتيسر حفظه لكثير منهم؛ لذلك نجدهم قد أتقنوا من السنة بقدر ما يَعنُّ لهم من مسائل الفتوى والقضاء.

فهذا أبو بكر الصديق ﷺ على كثرة سماعه من رسول الله ﷺ يُقلِّل من رواية الحديث، وكان عمر بن الخطاب يأمر الناس بتقليل الرواية، وكان مهيبًا عند جميع الصحابة؛ فقد روى ابن ماجه في سننه عن الشعبي عن قرظة بن كعب، قال: "بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة وشيَّعنا، فمشى معنا إلى موضع يقال له "صرار"، فقال: أتدرون لِمَ مشيت معكم، قال: قلنا: لحق صحبة رسول الله ﷺ، ولحق الأنصار، قال: لكني مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به، فأردت أن تحفظوه لمشاي معكم، إنكم تقدمون على قوم للقرآن في صدورهم هزيز كهَزِيز[2] المِرْجَل[3]، فإذا رأوكم مَدُّوا إليكم أعناقهم، وقالوا: أصحاب محمد، فأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ ثم أنا شريككم"[4]. فلما قدم قرظة، قالوا: "حدِّثْنَا، قال: نهانا عمر بن الخطاب"[5].

® في "حرص أبي هريرة على العلم بالقرآن والسنة وحفظه لهما" طالع: الوجه الأول، من الشبهة الثالثة، والوجه الأول، من الشبهة الثامنة، من هذا الجزء.

١. المرجع السابق، ص٤٥٠، ٤٥١.

٢. هزيز: صوت.

٣. المِرْجَل: إناء يغلي فيه الماء، وله صوت عند غليان الماء فيه.

٤. صحيح: أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب: التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ، (١/ ١٢)، رقم (٢٨). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٢٦).

٥. جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، مكتبة التوعية الإسلامية، مصر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، (٢/ ٩٩٩، ١٠٠٠).

وهذا أبو هريرة ـ الذي يحتجون به ـ يمسك عن التحديث في زمن عمر بن الخطاب مع أنه معدود في المكثرين من الصحابة لرواية الحديث، ولكنه اتباعًا لسنة الشيخين رضي الله عنهما في التقليل من الرواية يكفُّ عنها، ثم لما طالت به الأيام، واحتيج إلى ما عنده من العلم حدَّث به وأظهره للناس؛ فقد روى البخاري عن أبي هريرة أنه قال: "إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا، ثم يتلو قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ (البقرة)"[1].

ومن ثم، فإن الخلفاء الراشدين وقفوا على حذر في شأن الحديث، فأقلوا من الرواية خشية أن يتخذها المنافقون مطية لأغراضهم الخبيثة، وهم مع ذلك واقفون عند قوله ﷺ: "إياكم وكثرة الحديث عنِّي، من قال عليَّ فلا يقولن إلا حقًّا أو صدقًا..."[2][3]®.

ثالثًا. أسباب كثرة ما رُوي عن أبي هريرة وقلة ما رُوي عن عبد الله بن عمرو:

إن طعنهم في أبي هريرة بسبب كثرة أحاديثه (٥٣٧٤ حديثًا) قياسًا بأحاديث عبد الله بن عمرو بن العاص (٧٠٠ حديثًا)، قائلين: كيف يشهد أبو هريرة بأن عبد الله بن عمرو أكثر منه حديثًا، فقد رُوي عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: "ما من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أكثر حديثًا عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب"[4]، ومع كل هذا تروي لنا كتب السنة أحاديث لأبي هريرة تربو على مرويات عبد الله بن عمرو بن العاص بالآلاف؟

نقول: قد يكون أبو هريرة قال هذا قبل دعاء النبي ﷺ له بعدم النسيان، أو أن عبد الله بن عمرو كان ـ فعلًا ـ أكثر تحملًا من أبي هريرة، ولكن قلَّت مروياته، ويرجح ذلك عدة أسباب منها:

١. أنه كان مشتغلًا بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم، فقلَّت الرواية عنه، بخلاف أبي هريرة فقد كان متصدرًا للتحديث.

٢. إن عبد الله كان أكثر مُقامه بعد الفتوحات بمصر أو بالطائف، ولم تكن الرحلة إليهما من طلاب الحديث كالرحلة إلى المدينة، وكان أبو هريرة مقيمًا بالمدينة متصديًا للفتوى والتحديث إلى أن مات، ويظهر هذا في كثرة من أخذ عن أبي هريرة الحديث، فقد بلغ عددهم ثمانمائة نفس، ولم يقع ذلك لغيره من الصحابة.

٣. إن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما كان قد وقع له بالشام كتب من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر

---

١. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: العلم، باب: حفظ العلم، (٢/ ٢٥٨)، رقم (١١٨).

٢. حسن: أخرجه أحمد في مسنده، مسند الأنصار، حديث أبي قتادة الأنصاري، (٢٢٥٩١). وحسنه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

٣. الحديث والمحدثون، د. محمد محمد أبو زهو، مرجع سابق، ص٦٦: ٦٩ بتصرف.

® في **"إكثار أبي هريرة من الرواية وتفرده ببعضها لا يطعن فيه"** طالع: الوجه الثاني، من الشبهة التاسعة عشرة، من هذا الجزء. وفي **"كثرة مرويات الخلفاء الراشدين في كتب السنة"** طالع: الوجه الثاني، من الشبهة الثامنة عشرة، من الجزء الرابع (عدالة الصحابة).

٤. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم، (١/ ٢٤٩)، رقم (١١٣).

فيها ويحفظ منها جملًا، ويحدث بها؛ فربما تجنب التحمل عنه لذلك الكثير من أئمة التابعين.

لهذه الأسباب "نجد أن ما رُوي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما لا يتناسب مع غزارة علمه وكثرة ما حفظه وكتبه عن رسول الله ﷺ، فلم يصل إلينا عنه سوى سبعمائة حديث اتفق الشيخان منها على سبعة عشر حديثًا، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بعشرين"[1].

أما عن زعم الطاعنين أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما اتَّهم أبا هريرة ﷺ بقوله: "لقد أكثر علينا أبو هريرة"، فهذا زعم باطل؛ إذ ليس في قول ابن عمر ﷺ هذا اتهام لأبي هريرة، غاية ما في الأمر أنه أراد أن أبا هريرة أكثر عليهم، أي زادت روايته عن رواياتهم.

إن ما رُوي عن ابن عمر ﷺ من شهادته لأبي هريرة بأنه أكثر سماعًا من النبي ﷺ لأنه كان أكثرهم جرأة ـ يدحض هذا الزعم، فلقد "مرَّ عبد الله بن عمر بأبي هريرة وهو يحدث عن النبي ﷺ: مَن تَبع جنازة فصلَّى عليها فله قيراط، فإن شهد دفنها فله قيراطان، القيراط أعظم من أُحد، فقال له ابن عمر رضي الله عنهما: أبا هرٍّ، انظر ما تُحدِّث عن رسول الله ﷺ، فقام إليه أبو هريرة حتى انطلق به إلى عائشة رضي الله عنها فقال لها: يا أم المؤمنين، أنشدك الله، أسمعت رسول الله ﷺ يقول: من تَبع جنازة فصلى عليها فله قيراط، فإن شهد دفنها فله قيراطان، فقالت: اللهم نعم. فقال أبو هريرة: إنه لم يكن يشغلني عن رسول الله ﷺ غرس ولا صفق بالأسواق، إنما كنت أطلب من رسول الله ﷺ كلمة يعلمنيها، أو أكلة يطعمنيها، فقال ابن عمر: يا أبا هريرة، كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ وأعلمنا بحديثه"[2].

وهذا اعتراف صريح من ابن عمر بأن أبا هريرة كان ألزمهم للنبي ﷺ وأعلمهم بحديثه، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا صلى أحدكم الركعتين قبل الصبح فليضطجع على يمينه، فقال له مروان بن الحكم: أما يُجزئ أحدنا مشاه إلى المسجد حتى يضطجع على يمينه، قال عبيد الله في حديثه: قال: لا، قال: فبلغ ذلك ابن عمر، فقال: أكثر أبو هريرة على نفسه، قال: فقيل لابن عمر: هل تنكر شيئًا مما يقول، قال: لا، ولكنه اجترأ وَجَبُنَّا، قال: فبلغ ذلك أبا هريرة، قال: فما ذنبي إن كنت حفظت ونسوا"[3] ومعنى "اجترأ"، أي: اجترأ على سؤال النبي ﷺ في حين أن الصحابة كانوا يهابون سؤاله، فعن أُبي بن كعب قال: كان أبو هريرة جريئًا على النبي ﷺ يسأله عن أشياء لا نسأله عنها[4].

وكيف يتَّهم ابنُ عمر أبا هريرة وهو يعيذ سائله من

---

١. الحديث والمحدثون، د. محمد محمد أبو زهو، مرجع سابق، ص١٤٣، ١٤٤.

٢. صحيح: أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: معرفة الصحابة، باب: ذكر أبي هريرة، (٣/ ٥٨٤)، رقم (٦١٦٧). وصححه الذهبي في التلخيص، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه (بشرح فتح الباري)، كتاب: الجنائز، باب: فضل اتباع الجنائز، (٣/ ٢٢٩)، رقم (١٣٣، ١٣٤). صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الجنائز، باب: فضل الصلاة على الجنازة، (٤/ ١٤٦)، رقم (٢١٥٤).

٣. صحيح: أخرجه أبو داود في سننه (بشرح عون المعبود)، كتاب: الصلاة، باب: الاضطجاع بعدها، (٤/ ٩٨)، رقم (١٢٥٧). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (١٢٦١).

٤. أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: معرفة الصحابة، باب: ذكر أبي هريرة الدوسي، (٣/ ٥٨٣)، رقم (٦١٦٦).

أن يرد أو يشك مجرد الشك فيما رواه أبو هريرة ؟!

من خلال ما سبق يتبين بجلاء أن المقارنة بين أبي هريرة وعبد الله عمرو بن العاص في كثرة المرويات عن النبي ﷺ لا تصح؛ لاختلاف ظروف كل منهما، وأما قول ابن عمر: "لقد أكثر علينا أبو هريرة"، أي زادت روايته على روايتهم، ولم يقصد منها اتهام أبي هريرة أو ذمه، بل يقصد مدحه والثناء عليه لشدة حرصه، والدليل على ذلك قوله: "لكنه اجترأ وجَبُنَّا"، وقوله: "كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ وأعلمنا بحديثه"، وتَرَحُّمه عليه بقوله في جنازته: "رحم الله أبا هريرة كان يحفظ على الناس سنة رسول الله ﷺ".

الخلاصة:

- لقد أسلم أبو هريرة عام خيبر، وخيبر كانت في جمادى الأولى سنة سبع، وبين خيبر ووفاة النبي ﷺ أربع سنوات إلا شهرين، وفي هذا ردٌّ على من قال: إن أبا هريرة لم يصحب النبي ﷺ إلا سنة وأربعة أشهر.
- كان دعاء النبي ﷺ لأبي هريرة ﷺ بعدم النسيان ـ مع تفرُّغه لطلب العلم، وشدة ملازمته النبي ﷺ، وحرصه على أداء ما حمله ـ وراء كثرة مروياته ﷺ.
- من الخطأ الفاحش أن يُقارن الخلفاء الأربعة ﷺ بأبي هريرة ﷺ في كثرة الرواية عن النبي ﷺ؛ لانشغالهم بأمور السياسة، وشئون الدولة المترامية الأطراف، على عكس تفرُّغ أبي هريرة للحديث، وابتعاده عن الفتن وغيرها من المشاغل، واحتياج الناس إليه لامتداد عمره، وإذ ما أضفنا إلى ذلك إقلال الخلفاء الراشدين من الرواية خشية أن يتخذها المنافقون مطيَّة لأغراضهم الخبيثة ـ علمنا لماذا زادت مرويات أبي هريرة عن الخلفاء الراشدين.
- إن شهادة أبي هريرة لعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ بأنه أكثر حديثًا منه، تعني أنه كان أكثر تحملًا لا أداء، ولم يتيسر لعبد الله أداء كل ما عنده؛ لِسَكَنِه بمصر والشام بعيدًا عن طلاب الحديث، على عكس أبي هريرة الذي قطن المدينة ملجأ طلاب الحديث.
- لم يقصد ابن عمر رضي الله عنهما بمقولته: "لقد أكثر علينا أبو هريرة" الطعن في أبي هريرة، بدليل تصديقه له، وتحذيره من الشك فيما رواه، وترحُّمه عليه بقوله: "رحم الله أبا هريرة كان يحفظ على الناس سنة رسول الله ﷺ" ولكنه قصد أن روايته زادت على روايتهم؛ لاهتمامه بالحديث والعمل على حفظه ونشره بين الناس، وهذا ثناء ومدح وليس ذمًّا.

الشبهة الرابعة عشرة

دعوى أن أبا هريرة ﷺ كان مُدلِّسًا (*)

مضمون الشبهة:

يدعي بعض المغرضين أن أبا هريرة ﷺ كان يُدلِّس[1] الحديث على النبي ﷺ، ويستدلون على ذلك

(*) الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مرجع سابق. الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث، محمد حمزة، مرجع سابق. الرد على الطاعن في أبي هريرة ﷺ، الحسن بن علي الكتاني، مرجع سابق. العواصم والقواصم، محمد بن إبراهيم الوزير اليماني ، مرجع سابق. حجية السنة ورد الشبهات التي أثيرت حولها، مرجع سابق. السنة المفترى عليها، سالم البهنساوي، مرجع سابق.

١. التدليس: هو أن يروي الراوي عمن لقيه، ما لم يسمعه منه، وعمن عاصره ولم يَلْقَه ما لم يسمعه منه موهمًا أنه سمعه منه.